تعدد اللغات ودوره في تحقيق الوئام الاجتماعي الحدودي بين دول بحيرة تشاد

Multilinguisme et son rôle dans la cohésion sociale transfrontalière entre les pays du Lac-Tchad

Mikaila Sali
Charge de Cours
Faculté des Arts, Lettres et Sciences Humaines
Université de Garoua –Cameroun
mikailasali2000@yahoo.fr
(+237) 695408115

RESUME :

Ce travail de recherche, présente un panorama de la problématique multilinguisme transfrontalière entre le Cameroun et de ses voisins en contexte d'insécurité. Et partant du constat, que les frontières sont souvent perçues comme des concepts artificiels qui, en réalité n'empêchent ni les échanges entre les populations, ni les mouvements transfrontaliers, l'on se demande ici : cette diversité linguistique ne peut-elle pas apportée une solution a des conflits communautaires, socioculturels ? De ce fait, et considérant la rentabilité des langues locales au Cameroun pour une communication bénéfique, cette étude tente d'analyser les paysages linguistiques entre le Cameroun et ses afin de maintenir la paix sociale, et la sécurité dans les zones donc la cohabitation est fragile.

Mots clés : Cameroun – multilinguisme- transfrontalières – cohésion sociale – transfrontalière – conflit

ملخص البحث

يعرض هذا البحث لمحة عامة عنمشكلة تعدد اللغات في الحدود بين الكاميرون وجيرانها في ظل الصراعات الأمنية.وانطلاقًا من الملاحظة أن الحدود غالبًا ما تُعتبر صناعة وهمية والتي، في الواقع لا تمنع التبادلات بين السكان ولا التحركات عبر تلك الحدود، نتساءل هنا: أليست هذه التنوعات اللغوية قادرة على تقديم حل للصراعات الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات المتنازعة؟ وبناءً على ذلك، ونظرا إلى جدوى لغات التواصل المحلية في الكاميرون، تحاول هذه الدراسة تقديم المشهد اللغوي بين الكاميرون وجيرانها لإبراز الدور الذي يلعبه التعدد اللغوي في الحفاظ على السلام الاجتماعي والأمني في المناطق التي تعيش اضطرابات.

الكلمات الافتتاحية:الكاميرون – تعدد اللغات – الحدود – الوئام الاجتماعي – العابر للحدود –النزاع.

التمهيد:

سنتطرق في سطور هذا التمهيد في الحديث عن تعريف ببحيرة تشاد، وتحديد موقعها في هذه المنطقة. ولكن قبل ذلك ينبغي بيان أهمية هذه الدراسة.

فأما أهميته فتكمن في النقاط التالية:

1- بيان القيمة اللغوية لكل من يسكن هذه المنطقة؛
2- تحديد موضع تعدد اللغات التي تتسارع فيه الأمم؛
3- معرفة وسائل حل النزاعات بين الأمم؛
4- المشاركة في إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية.

أولا: تسمية المنطقة ببحيرة تشاد:

بحيرة تشاد تعرف**بالفرنسية**(Lac Tchad) :،هي بحيرة عظيمة وحوض مغلق في أفريقيا لها تاريخ متصل بتاريخ الشعوب والمنطقة على حد سواء، اختلفحجمها على مر القرون، ووفقًا لقاعدة بيانات برنامج الأمم المتحدة للبيئة، فقد تقلصت بنسبة تصل إلى 95٪ من عام 1963 إلى عام1998 ، هذا ما أظهرته صور الأقمار الصناعية التي التقطت في عام2007 م، لبحيرة تشاد ذات أهمية اقتصادية، حيث

توفر المياه لأكثر من 30 مليون شخص يعيشون في البلدان الأربعة المحيطة بهاتشاد والكاميرون والنيجر ونيجيريا[304]

ثانيا: الموقع الجغرافي للبحيرة:

تقع بحيرة تشاد داخل منطقة الساحل الأفريقي في غرب ووسط إفريقيا، قريبة من الحدود الشمالية الشرقية لنيجيريا في نهاية غرب تشاد، كانت هذه البحيرة في الماضي واقعة داخل حوض بحري كبير جداً يشبه البحر كان يُسمَّى حوض تشاد العملاق، تم تصنيف البحيرة تاريخياً كواحدة من أكبر البحيرات في أفريقيا، وتختلف مساحة سطحها بحسب الموسم وأيضاً من عام إلى آخر[305].

فبحيرة تشاد تضم أكثر من قبيلة ولغة منتشرة في بلدان تلك المنظمة، وخلال المحاور الآتية سنتكلم عن تلك القبائل واللغات في البلدان المشهورة والمحيطة ببحيرة تشاد مع وبيان دور تلك القبائل في نسج الكيان الاجتماعي للمنطقة.

المحور الأول: اللغات والقبائل المحيطةببحيرة تشاد وأثرها في نسيج الكيان الاجتماعي؛

إن بحيرة تشاد منطقة تضم عددا من اللغات واللهجات المهمة والتي يتداولها الناس في تسيير أمورهم الاجتماعية والسياسية والثقافية، لأنها من أهم مظاهر الحضارة ***manifestations of civilization***، وتعتبر اللغة حلقة من سلسلة النشاط الإنساني، وتبرز أهميتها فيما تؤديه من دور في حركة الحياة والمجتمع، إذ لا يمكن تصور مجتمع بلا لغة، ولا لغة بلا مجتمع، فلكي توجد اللغة لا بد من مجموعة ناطقة بها، فهي وأيّاً كانت لحظتها فلا توجد خارج الواقعة الاجتماعية، ولا يتحقق وجودها إلا بفضل نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة.[306]

القبائل المشهورة في بحيرة تشاد مع وصف علاقاتها الاجتماعية:

تتكتل القوميات والقبائل وتختلف الأجناس حول حوض بحيرة تشاد، وذلك باختلاف المناطق، وفيما يلي نتناول لأشهر القبائل التي تعيش في الدول المحيطة بالبحيرة؛

أولا: أشهر القبائل التشادية المنتشرة حول بحيرة تشاد:

إنّ عدد قبائل تشاد تصل إلى 200 قبيلة تقريباً، ومن هذه القبائل: قبائل اللّاكا، وقبائل الغولا، وقبائل التوماك، وقبائل التانغال، وقبائل فُلْبِيي، وقبائل الباغرمي، وقبائل الكانوريز، كما يوجد في تشاد

---

[304]- محمد، جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، المركز العالمي للدراسات وأبحاث كتاب الأخضر، طرابلس– **ليبيا**، ط1: 15؛

[305]- عبد الله حمدنا الله، 2006، تبادل التأثير الثقافي الإسلامي بين علماء السودان وعلماء حوض بحيرة تشاد، المؤتمر الدولي-الإسلام في إفريقيا – العدد 5: 25؛

[306]- أليس **كوراني**، 2013 **:**اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1: 7-8؛

عدد من القبائل العربيّة من أهمّها: قبيلة الحساونة، وقبائل جهينة، وقبيلة جادا، وقبيلة الضنية، وقبيلة جذام، وغيرها.[307]

يتألف سكان تشاد من عدد كبير من المجموعات الإثنية ومن اللغات واللهجات والأديان، نتيجة قدم وجود البشري في المنطقة، وبسبب موقعها الجغرافي المتوسط جسراً بين الصحراء وعالم البحر المتوسط في الشمال، وبلدان الغابات المدارية ـ الاستوائية في الجنوب. وعلى تعقيد التركيب العرقي.[308]

ثانيا: أشهر القبائل الكاميرونية المنتشرة حول بحيرة تشاد:

الكاميرون هي موطن لأكثر من 200 مجموعة لغوية مختلفة منتشرة في انحاء البلاد، وقد توطن السكان الأوائل للمنطقة وكذلك حضارة ساو حول بحيرة تشاد، وأما القبائل الأكثر انتشارا بحيرة تشاد وهم فُلْبِي، العرب، كانوري، ماندارا، مسغم، كوتوكو، والهوسا[309].

تلك القبائل ولا سيما، فُلْبِي، العرب، كانوري، وهوسا، مشهود لها بالنشاط في كل المجالات، وخاصة في نشر الحضارة الإسلامية، ففيهم العلماء المتميزون الذي عرف التاريخ قدرهم، وأرخ لهم، وانتشرت مدارسهم في طول المنطقة وعرضها، وأقبل بعضهم إلى التأليف في شتى المجالات، وتجدهم في المجال الاجتماعي، هم أشد القبائل امتزاجاً مع كل العناصر الموجودة في المنطقة.[310]

ثالثا: أشهر القبائل النيجيرية المنتشرة حول بحيرة تشاد:

إن نيجيريا تعد من أكبر الدول الإفريقية من حيث الكثافة السكانية، يعيش فيها قبائل رئيسية، بعضها يشكل جزءًا كبيرًا من السكان وبعضها الآخر يشكل جزءًا صغيرًا. وأهم تلك القبائل الرئيسية:[311]

1. الهاوسا: تعتبر أكبر قبيلة في نيجيريا وتشكل حوالي 29٪ من السكان،
2. فُلْبِي: ويشكلون نسبة تشكل حوالي 29٪ من السكان مثل الهوسا.
3. الإيبو: يعتبرون أقوى وأكبر قبيلة في شرق نيجيريا ويشكلون حوالي 18٪ من السكان،
4. اليوروبا: يعتبرون القومية الرئيسية في غرب نيجيريا ويشكلون حوالي 21٪ من السكان،
5. الإيدو: يسكنون ولاية إدو ويشكلون حوالي 3٪ من السكان،
6. لإجو: يعيشون في ولاية دلتا نيجيريا ويشكلون حوالي 2٪ من السكان،

307- عبد السلام بغدادي، 2005، الجماعات العربية في إفريقيا: دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ص 559.

308- عبد السلام بغدادي، 2005، الجماعات العربية في إفريقيا: دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في إفريقيا جنوب الصحراء: 56؛

309- مؤمن إبراهيم، 2018، المدرسة العربية التقليدية ودورها في نشر الإسلام في الكاميرون، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، (د.ع): 146؛

310- مؤمن إبراهيم،2018، المدرسة العربية التقليدية ودورها في نشر الإسلام في الكاميرون، المصدر السابق:146؛

311 -https://www.ejaba.com/question

7. لكانوري: يسكنون ولاية بورنو وأجزاء من ولاية يوبي ويشكلون حوالي 2٪ من السكان،
8. الإيجيوما: يسكنون ولاية ايمو وأجزاء من ولاية أبيا وأنامبرا ويشكلون حوالي 3٪ من السكان،
9. التيف: يعيشون في ولاية تاربا ويشكلون حوالي 2٪ من السكان.

تلك هي بعض القبائل الرئيسية في نيجيريا، وهناك العديد من القبائل الأخرى التي تشكل جزءًا من تنوع الثقافة والتراث في البلاد. [312]

ويلاحظ وجود قبائل عرب الشوا، وهم من القبائل العربية العريقة التي هاجرت من المغرب العربي إلى دول غرب إفريقيا وتعود أصولهم إلى قبائل الغوالم والثوابت والحميدية والشوافع، ويعمل أغلبهم في الرعي والزراعة ولا يزالون يحافظون على لغتهم وعاداتهم العربية الأصيلة رغم اندماج العديد منهم في الحياة النيجيرية الخالصة داخل المدن الكبرى مثل لاجوس وكانو وأبوجا وكادونا وغيرها، كذلك يوجد العديد من القبائل الصغيرة ذات الأصول الزنجية الخالصة واللهجات المختلفة[313]

رابعا: أشهر القبائل النيجرية المنتشرة حول بحيرة تشاد: [314]

يتألف النيجر من أكثر من 20 قبيلة رئيسية، والتي تشكل معظم سكان البلاد، وأشهر هذه القبائل:

1. قبيلة هوسا: تتمركز في المناطق الشرقية والوسطى من النيجر.
2. قبيلة زرمة: تتمركز في المناطق الشمالية والوسطى من النيجر.
3. قبيلة طواريق: تتمركز في المناطق الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية من النيجر.
4. قبيلة توبو: تتمركز في المناطق الشمالية والشرقية من النيجر.
5. قبيلة فُلْبِي: تتمركز في المناطق الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية من النيجر.
6. قبيلة قبايل: تتمركز في المناطق الشمالية والوسطى من النيجر.
7. قبيلة توادي: تتمركز في المناطق الجنوبية والشرقية من النيجر.
8. قبيلة كووراندارى: تتمركز في المناطق الشمالية والوسطى من النيجر.
9. قبيلة تاماشيك: تتمركز في المناطق الجنوبية والشرقية من النيجر.
10. قبيلة كابسيرو: تتمركز في المناطق الوسطى من النيجر.
11. العرب: تتمركز في شمال نيجيرية، وبالتحديد في منطقة ميدغوري.

وما يمكن ملاحظته في هذه القبائل، أن بعضها استوطنت المنطقة منذ أمد بعيد، وكما يلاحظ من خلال العرض السابق تعدد القبائل المنتشرة حول بحيرة تشاد وتنوعها، مما يؤدي إلى تعدد اللغات وتنوعها أيضا، وأشهر تلك اللغات، الآتية:

[312] -https://www.ejaba.com/question

[313]- عبد السلام بغدادي،الجماعات العربية في إفريقيا،المصدر السابق:85

[314]- عبد السلام بغدادي، الجماعات العربية في إفريقيا، المصدر السابق: 86

اللغة العربية، واللغة الهوساوية، ولغة كتكو، وفلفلدي، ولغة مسغم،واللغة الكانورية، لغةزارما، ولغة الطوارق، ولغة القرعان، هذه هي اللغات التي يتحدث بها جماعات منطقة حوض بحيرة تشاد. [315]

المحور الثاني: التعايش بين القبائل مختلفي اللغات حولبحيرةتشاد

أدى التدهور البيئي والاقتصادي في منطقة بحيرة تشاد إلى تفاقم النزاع المسلح في بعض الدول، حيث تتقاتل الجماعات المسلحة من أجل السيطرة على الأراضي والمياه. كما أسهمت الجماعات الإرهابية مثل بوكو حرام في تشجيع النزاع في المنطقة، مستفيدة من حالة الفقر والتدهور الاجتماعي.

أولا: التعايش في مجتمعات متعددة اللغات:

يزخر المجتمع الإفريقي بتعدد القبائل وتنوعها واختلاف اللغات واللهجات، وهذا التعدد يلاحظ جليا في منطقة بحيرة تشاد كما سبق الحديث آنفا، حيث تعيش فيها أقوام من مختلف القبائل. ويتم بيان ذلك خلال النقاط التالية:

1. النسيج الاجتماعي وأثره في التعايش بين اللغات المختلفة:

لتحقيق مسألة التعايش السلمي بين الأمم في منطقة بحيرة تشاد تعاون عليه شيوخ القرى والقبائل من الكاميرون وتشاد والنيجر ونيجيريا على تعزيز جهود مكافحة التطرف والإرهاب، قد تم عقد «الاجتماع الإقليمي لشيوخ قرى وقبائل حوض بحيرة تشاد»،[316]وقرر المجتمعون علاج الأسباب الجذرية لانعدام الأمن، كالفقر المدقع والبطالة وعدم المساواة والعنف ضد المرأة وعدم التعاون بين الدول"؛[317]

2. صور وضع النسيج الاجتماعي:

نقل موقع «بيزنس داي نيجيريا» الإخباري عنه قوله:" نرغب من أعماق قلوبنا في أن تسود المحبة والمودة بيننا لنكون عوناً لبعضنا البعض على التحقق من الأنشطة التي تثير الشك والريبة في مجتمعاتنا، وعلى قضايا أخرى مثل انتشار الأسلحة الصغيرة في مجتمعاتنا؛ وسندرس المبادرات المجتمعية، والدعوة إلى المشاريع التي تنشر التعليم، وسبل الرزق، ومؤازرة المجتمعات"[318]؛

وأصدر شيوخ القرى والقبائل في نهاية اجتماعهم الذي استمر يومين بياناً، تعهدوا فيه بالارتقاء بالأطر المحلية للحوار، مع الاهتمام بالشباب والنساء والفئات المهمشة، وذكروا أنهم سيضعون أطراً لحل النزاعات المتعلقة بالتجارة والاستفادة من الموارد الطبيعية؛

---

[315]- بابكر حسن قدرمارى، 2004، اللغات التواصلية في غرب إفريقيا-الهوسا والفولانية نموذجا، مركز للبحوث والدراسات الإفريقية،الخرطوم، (د.ط): 5؛

[316]- عبو عزالدين،2022، النزاعات البيئية (النزاع الكاميروني النيجيري في حوض بحيرة تشاد نموذجا)، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد03: مجلد:537/15؛

[317]- عبو عزالدين،النزاعات البيئية،المصدر السابق:538؛

[318]- عبو عزالدين، النزاعات البيئية، المصدر السابق: 538؛

وقالوا في بيانهم:" لا نحيد عن واجبنا، فنحن حماة الثقافة والتقاليد والسلام، وسنعمل على منع الصراعات المجتمعية وحلها، وتعزيز الحوار والمصالحة بين الأطراف؛ وندين بأشد العبارات كافة أشكال العنف ضد المرأة، سواء أكانت جسدية أم نفسية أم اقتصادية أم ثقافية، ونحن ملتزمون برفع مستوى الوعي في مجتمعاتنا حول حقوق المرأة ونشر ثقافة الاحترام والمساواة.[319]

ثانيا: أشهر النزعات المهددة للتعايش بين القبائلفي بحير تشاد:

إن منطقة بحيرة تشاد أصبحت فيالآونة الأخيرةبؤرةللحروب والنزاعات المسلحة مما دفع البعض إلى اعتبار القارة أنها لا يسكت فيها صوت الرصاص، وتلك النزاعات التاريخية والسياسية،منها الصراعات الداخلية على شكل حروب أهلية أو صراعات بين الرعاة والمزارعينعلى الموارد الطبيعية الماء والكلأ وذلك نتيجة للتغير المناخي، ومنها أيضا الصراعات الخارجية، لأسباب دينية أي بين الثقافات والانتماءات الدينية، أو صراعات إثنية، فأصبحت بهذه الأحداث المذكورة صعوبة بناء النسيج الاجتماعي أو بناء السلام في المنطقة؛[320]

فعلى سبيل المثال ولا الحصر، اندلاع اشتباكات في قرية أولومستين رعاة وصيادين ومزارعين حول موارد المياه المتضائلة، ليمتد العنف إلى القرى المجاورة، حيث تعرضت عشر قرى للحرق بالكامل، ومن ذلك أيضا اندلاع قتال في مدينة كسري الكاميرونية، وهي مركز تجاري يبلغ عدد سكانها حوالي 200,000 نسمة. وقد تعرض سوق الماشية التابع لمدينة كسري للدمار خلال القتال، وفر ما لا يقل عن 10,000 شخص من كسري إلى العاصمة التشادية نجامينا، والتي تقع على بعد بضعة كيلومترات عبر نهري شاري ولوغون، واللذين يشكلان الحدود مع الكاميرون؛

تشكل النساء 80 بالمائة من الوافدين الجدد -بما في ذلك العديد من الحوامل – إضافة إلى الأطفال. وقد وجد هؤلاء ملاذاً آمناً لهم في نجامينا والقرى الواقعة على طول ضفة نهر لوغون في تشاد.[321]

كما أدي أزمة المناخ إلى تفاقم التوترات في أقصى شمال الكاميرون، في العقود الأخيرة انخفض سطح بحيرة تشاد -التي يعتبر نهر لوغون رافداً رئيسياً لها -بنسبة تصل إلى 95 بالمائة، وقد حفر الصيادون والمزارعون خنادق شاسعة للاحتفاظ بمياه النهر المتبقية حتى يتمكنوا من صيد الأسماك والقيام بزراعة محاصيلهم، لكن الخنادق الموحلة تحاصر مواشي الرعاة في بعض الأحيان وتتسبب بتفوقها، مما يثير حالات من التوتر والقتال.[322]

---

[319]- عبو عزالدين، النزاعات البيئية، المصدر السابق: 538؛

[320]- مجلة المعرفة، 2007، الصراعات العرقية في أفريقيا، (د.ط): 11؛

[321]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق:11؛

[322]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق: 14؛

تلك نمازج قليلة بين الكثير التي عايشتها أو تعيشها منطقة بحيرة تشاد،واللافت للنظر هنا أن سبب قيام معظم تلك النزاعات هو العامل القبلي أو العرقي، وعليه فإن حلها يتطلب اجماع العشائر ورؤساء القبائل رغم اختلاف لغتهم، لكن اتخذوا لهجة أو لغة واحدة لتسوية شؤونهم، وسنرى في النقاط القادمة كيف لعبت اللغة دورها في تحقيق السلم وجمع الوئام:

1- النزاعات السياسية؛

تعد النزاعات السياسية من أشهر النزاعات التي تهدد الأمن الاجتماعي، ففي منطقة بحيرة تشاد اشتهر أنماط الصراعات السياسية، وأهمها:[323]

أ- نمط العنف السياسي المرتبط بالتحول الديمقراطي:

لقد أدت ظروف التحولات الديمقراطية التي شهدتها كثير من الدول الأفريقية منذ أواخر الثمانينات إلى حدوث اضطرابات عنيفة ويفسر البعض ذلك بأن حالة الانفتاح والحرية السياسية تؤدي إلى ظهور التناقضات والانقسامات المجتمعية التي ظلت مكبوتة فترة طويلة في ظل نظم الحكم التسلطية والاستبدادية، ولا سيما إذا كانت جماعة عرقية معينة مسيطرة على الحكم وتقوم بقمع الجماعات الأخرى؛[324]

وتكمن خطورة الخلافات الحدودية بين دول بحيرة تشاد في كون الحدود الطبيعية للبحيرة متغيرة بعامل التغير المناخي، الذي تتخذ معه الحدود الجغرافية والسياسية شكلًا جديدًا كلما تقلصت المساحة المائية للبحيرة.

والجدير بالذكر أن لجنة حوض بحيرة تشاد وضعت خطة لبناء سد وقنوات لضخ المياه من نهر الكونغو إلى نهر شاري في جمهورية إفريقيا الوسطى ثم إلى بحيرة تشاد، وتم طرح هذه الخطة لأول مرة عام 1982 من قبل شركة هندسة إيطالية، ونُوقشت في المؤتمر الدولي حول بحيرة تشاد في أبوجا، عام 2018، لكنها لم تر النور بسبب غياب التمويل والظروف الآمنة لتنفيذها، إضافة إلى افتقار الدول الأعضاء في اللجنة إلى الالتزام المطلوب لاتخاذ إجراءات ملموسة؛[325]

ب- الصراع على الموارد الطبيعية:

يعتبر إقليم أقصى شمال الكاميرون، مثل العديد من المناطق في القارة الإفريقية، يعاني من الصراع على الموارد الطبيعية، خاصة المياه والأراضي الزراعية والمراعي في هذه المنطقة، تمثل المراعي والمصادر المائية عنصراً حيوياً في حياة القبائل التي تعتمد على الرعي والزراعة، ومع زيادة عدد السكان وتغير المناخ، يزداد الضغط على هذه الموارد، مما يؤدي إلى تنافس بين القبائل،فعلى سبيل المثال، قد تحدث صراعات بين قبيلة فُلْبِيي التي

---

[323]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق:3-5 + 19-24، وإبراهيم محمد جبريل، التحديات الاجتماعية في الكاميرون، حالة أقصى الشمال أنموذجا، https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=857227

[324]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيامصدر سابق:25؛

[325]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق:25؛

تعتمد على تربية المواشي وبين قبائل أخرى تعمل في الزراعة، هذا التنافس يمكن أن يتحول إلى نزاعات عنيفة، خاصة عندما يعتقد أحد الأطراف أن الآخر يستولي على أراضيه أو موارده الطبيعية؛[326]

ت-الاختلافات الثقافية والدينية:

في إقليم أقصى الشمال الكاميروني، تتواجد عدة ديانات وثقافات مختلفة بين القبائل،في الوقت الذي يعتنق العديد من سكان الإقليم الإسلام، توجد أيضًا جماعات تمارس الديانات التقليدية، فضلاً عن بعض المجتمعات المسيحية، قد تتسبب الاختلافات الدينية والثقافية في تصاعد التوترات بين هذه الجماعات، خاصة عندما يعتقد أفراد إحدى القبائل أن قبيلة أخرى تهدد هويتها الثقافية أو الدينية،وفي بعض الأحيان، قد يؤدي هذا النوع من التوتر إلى صراعات دينية أو اجتماعية، حيث تصبح القيم الدينية والقبلية مركزًا للانقسام والعداء بين القبائل؛

2- النزاعات الثقافية:

في هذه النقطة يمكننا التأكيد بأن الثقافة الإسلامية في «كانم» (تشاد) وبعض البلدان المجاورة ببحيرة تشاد كان طابعها عربياً إسلامياً صرفاً، لم تداخله أية تأثيرات أخرى، وإن كان عامة الناس يستخدمون لهجاتهم ولغاتهم الخاصة، ثم يستخدمون اللغة العربية في تعبيرهم الثقافي، وفي صلواتهم، وفي المعاملات والإدارة والمراسلات، كما أن الإسلام وتعاليمه طوّر شعوب هذه المنطقة بالثقافة الإسلامية، وبهذه الأسباب اكتسبت اللغة العربية دوراً ومركزاً له أهميته وقيمته، بل أصبحت تؤدي دوراً ثقافياً ودينياً مهمّاً بعد دخول الإسلام فيها؛[327]

غير أن هذا الانتشار الحضاري والثقافي والتعليمي لم يستمر على هذا الوصف الذي وصفناه، وذلك بسبب الاستخراب(الاستعمار، أو الاستحمار) الذي جسم على تشاد ودول المنطقة عامة في مطلع القرن العشرين، وبخاصة الاستخراب الفرنسي، وما خلّفته فرنسا من تحدّيات وتوجّهات ومنذ ذلك الوقت أحدث فرنسا زعزعات بالثقافات الأخرى سيما الثقافة العربية حتى أدى هذا الصراع إلى مذبحة كوبكو؛

المحور الثالث: دور اللغات في حل النزاعات وتثبيت الوئام الاجتماعي:

اللغة وسيلة ضرورية لإجراء الاتصال أيًّا كان نوعه، فهي ظاهرة إنسانية قديمة قِدَم وجود البشر على وجه الأرض، وتؤدّي أيّ لغة من اللغات دور الركيزة الأساسية والعمود الفقري في بناء المجتمعات، وليست هناك لغة دون مجتمع، كما لا يوجد مجتمع من غير لغة يتحدث بها أفراده، ومن أهمّ الوظائف وأكبر الخدمات التي تُسديها اللغات إلى البشر: وظيفة الاتصال الثقافيّ والحضاريّ، وخدمة تبادل العادات والتقاليد والقِيَم بين أصحاب اللغات المختلفة؛

فهما أي اللغة والمجتمع مرتبطان وجودًا وعدمًا، وإذا كان المجتمع صانع اللغة، فإنَّ على اللغة أيضًا أن تحفظ صانعيها، بأن تكون حاضرةً في مجمل حياتهم، تُقدِّم لهم من مخزونها ما هم بحاجة إليه في كل زمان: في حالات النهوض وحالات التقهقر، وحالات السِّلم والأمن

---

[326]- مجلة المعرفة، الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق:25؛

[327]- إبراهيم صالح يونس، (د.ت)، الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية ميدقري-نيجيريا،(د.ط):30؛

والرفاهية، وظروف الحرب والضيق والأزمات والتقشّف. ويؤيّد هذا الموقف قول دي سوسير: إنَّ "بين الوحدة الاجتماعيّة واللغة علاقة متبادلة، وتخلق الآصرة الاجتماعيّة الوحدة اللغويّة، وربما تفرض على اللغة المشتركة بعض الصفات الخاصة"؛ [328]

أولا: وسائل وأسس تجسيد الوئام الاجتماعي عبر اللغات:

من الضروري على المجتمعات حصر المشكلات الاجتماعية الموجودة مع وضع خطة من أجل حل تلك المشكلات، وعلى هذا سوف يتم التخلص من الآفة التي تهدد كيان المجتمع[329]:

1- **التوعية والتثقيف:**على المجتمعات أن تعمل على زيادة الوعي والتثقيف حول المشكلات الاجتماعية وتأثيراتها على الأفراد والمجتمعات،ويمكن أن تشمل هذه الجهود حملات توعية، وورش عمل، ونشر المعلومات من خلال وسائل الإعلام والشبكات الاجتماعية؛
2- **عقد علاقات التعاون والشراكات** :ينغي للمجتمعات أن تعمل على بناء شراكات وتعزيز التعاون بين مختلف الأطراف المعنية، بما في ذلك المجتمع المدني والقطاع الخاص والحكومة والمنظمات غير الحكومية. يمكن أن يؤدي التعاون المشترك إلى إيجاد حلول شاملة وفعالة للمشكلات الاجتماعية.
3- **صنع القرار المشترك** :يجب أن يشمل التعامل مع المشكلات الاجتماعية عملية صنع القرار المشترك، حيث يشارك جميع الأطراف المعنية في تحديد الأهداف وتطوير السياسات وتنفيذ الإجراءات. يجب أن تكون هذه العملية شفافة وشاملة وتأخذ في الاعتبار آراء واحتياجات جميع الفئات في المجتمع؛
4- **تعزيز العدالة والمساواة :**يلزم أن يكون التركيز على تعزيز العدالة والمساواة في المجتمعات لمعالجة المشكلات الاجتماعية. يتضمن ذلك ضمان توزيع الثروة والفرص بشكل عادل، ومكافحة التمييز والعنصرية والعنف.
5- **تعزيز القدرات والتنمية المجتمعية** :يمكن للمجتمعات أن تعمل على تعزيز قدرات الأفراد والمجتمعات للتعامل مع المشكلات الاجتماعية. يتضمن ذلك توفير التعليم والتدريب والمهارات اللازمة، وتعزيز التنمية المستدامة والاقتصاد المجتمعي؛
6- **المشاركة المجتمعية** :يلزم أن تشجع المجتمعات على المشاركة المجتمعية النشطة في تحديد المشكلات والبحث عن الحلول وتنفيذها، يمكن أن تشمل هذه المشاركة الاجتماعية الاجتماعات العامة والمنتديات واللجان الاستشاري؛
7- **التقييم والمراجعة** :ينبغي أن تكون هناك عملية مستمرة لتقييم ومراجعة الجهود المبذولة للتعامل مع المشكلات الاجتماعية. يتعين تقييم فعالية الإجراءات المتخذة وتحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين وتعديل؛

ثانيا: الوساطة بين الأمم خلال تجمعات الحوارية باللغات المحلية:

[328]- محيي الدين عبد الحليم، 2019، أصل العربية وأزمتها المعاصرة والتربية، العدد 24؛

[329] -https://www.mosoah.com/career-and-education/education

يعتبر الانسان مخلوق اجتماعي بطبعة لا يستطيع العيش بشكل منفرد، كونه في حالة تفاعل مستمرة ودائمة مع أقرانه، هذا التفاعل الذي يكون دائما مبني على ضرورة توفر وسيلة وألية واحدة ومهمة وهي اللغة، التي لا يمكن فصلها عن الانسان كونها ظاهرة فكرية مرتبطة به دون غيره من الكائنات الحية؛

وبناء على ذلك، باتت اللغة واحدة من أكثر الظواهر الانسانية تشعبا و تعقدا باعتبارها نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها معاني مختلفة، فهي من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الوصولإلى عمق الثقافة و البنية الاجتماعية للناس، بل وصياغتها و توريثها، لتكون بذلك واحدة من أهم العوامل الأساسية في تكوين وبناء المجتمع، لتشارك وبشكل أساسي و فعال في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها، هذا الذي يؤكد على وجود علاقة بين كل من اللغة والمجتمع، فهما وجهان لعملة واحدة، لا يوجد مجتمع دون لغة و لا لغة دون مجتمع؛[330].

لكن هذه العلاقة قد تغيرت نوعا ما في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي نعيشه اليوم، ما ساهم وبشكل كبير في تحول منحى اللغة وانحرافها عن مسارها وسياقها الصحيح، بالشكل الذي طرح اشكالية التواصل اللغوي في المجتمع وصعوبة تحديد العلاقة بين اللغة كوسيلة اتصال وتواصل، والمجتمع باعتباره الوحدة الاساسية للتفاعل؛

ثالثا: التحالف بين القبائل مختلفي اللغات:

يؤدي التحالف بين القبائل دورا محوريا في تعزيز الوئام والسلم والمصالحة بين المجتمع متعددة اللغات، فهذا التخالف ينبغي أن يرتكز على أسس أهما:[331]

1- تعزيز الحوار بين القبائل:

في المجتمعات القبلية مثل تلك التي توجد في إقليم أقصى الشمال، لا تقتصر النزاعات فقط على الموارد الطبيعية أو الحدود الجغرافية، بل تمتد إلى قضايا الهوية الثقافية والانتماء الديني، وفي هذا السياق، يعتبر الحوار أداة أساسية في تهذيب الخطاب، حيث يمكن أن يسهم في إزالة الافتراضات الخاطئة والمواقف المسبقة بين الجماعات المختلفة،وعن طريق الحوار المفتوح، يمكن فهم القيم الثقافية والدينية لكل قبيلة أو جماعة، مما يعزز فرص الوئام والتفاهم المتبادل؛

2- تقوية القيم المشتركة:

الخطاب الموجه نحو تعزيز القيم الإنسانية المشتركة مثل التعايش السلمي، العدالة، المساواة، والاحترام المتبادل يعد من الأدوات الفعالة في تقوية الروابط بين الجماعات المختلفة،ويمكن للمؤسسات التعليمية والمجتمعية أن تروج لهذا النوع من الخطاب عبر الدروس التعليمية، الندوات، ورش العمل، ووسائل الإعلام؛

3- مواجهة الكراهية والتحريض:

[330] -https://democraticac.de/?p=47670

[331]-إبراهيم محمد جبريل، التحديات الاجتماعية في الكاميرون، حالة أقصى الشمال أنموذجا، https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=857227

يجب أن يركز الخطاب على مكافحة خطاب التحريض على كراهية الآخر، وهو أحد أسباب التوترات والعنف في المجتمعات،ويمكن لمختلف الجهات مثل القيادات الدينية، السياسية، والمجتمعية أن تتعاون في تقديم رسائل تحث على التفاهم ونبذ العنف، على سبيل المثال، ينبغي على الزعماء الدينيين في المنطقة أن يلعبوا دورًا مهمًا في تهذيب الخطاب عبر الدروس الدينية التي تدعو إلى التسامح والاحترام المتبادل بين الأديان والمعتقدات المختلفة.

4-تبني خطاب إعلامي داعم للسلام

تعد وسائل الإعلام الحديثة من أهم الأدوات التي يمكن أن تؤدي دورًا في تهذيب الخطاب،وبناء على ذلك يجب استخدام الصحافة، التليفزيون، والإذاعات، ووسائل التواصل الاجتماعي لبث رسائل تسهم في تعزيز الوعي بالسلام والتعايش السلمي، يجب على الإعلام أن يكون مسؤولًا في اختيار اللغة التي يستخدمها، وتجنب نشر الخطاب المتطرف أو المحرض على العنف،ويمكن تنظيم برامج حوارية بين ممثلي القبائل المختلفة لخلق مساحة للتفاهم المتبادل؛

رابعا: التداخل اللغوي وأثره في حل النزاعات بين الأمم:

1- أشهر اللغات تداخلا في محيط بحيرة تشاد:

شهدت العلاقات اللغوية بين العرب والشعوب الإفريقية تطورًا تاريخيًا ممتدًا، حيث بدأت مظاهر هذا التفاعل منذ العصور القديمة وقبل بزوغ فجر الإسلام، ومما ساعد على ذلك تحركات القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى في خلق جسور تواصل فعالة بين الجزيرة العربية والمناطق الواقعة جنوب الصحراء؛

أدت هذه الروابط التجارية دورًا بارزًا في التمهيد للقاءات ثقافية عميقة أثمرت عن تبادل لغوي ملموس،فعند مجيء الإسلام، ترسخت هذه العلاقات بشكل أكبر، حيث أصبحت اللغة العربية حاملةً للرسالة الدينية ومفتاحًا لفهم النصوص المقدسة، ما جعلها لغة مركزية في المجتمعات التي اعتنقت الإسلام؛[332]

2- دور اللغة العربية في حل النزاعات ودمج المجتمع في محيط بحيرة تشاد:

كون اللغة العربية واحدة من اللغات الإفريقية، وسبقها اللغات الاستعمارية المنتشرة في القارة الإفريقية، وكونها الوعاء الأساسي للإسلام، والوسيلة العلمية والعملية لمعرفة تعاليمه، كلّ تلك الأمور أتاحت لها الفرصة المناسبة للتعايش بسلم مع اللغات الإفريقية، جنباً إلى جنب، ولذا فإن العربية تحتلّ مكانة محترمة بين مسلمي إفريقيا؛

والعلاقة بين اللغة العربية وإفريقيا علاقة قديمة ترجع إلى الاشتراك في الأصل في بعض مناطق إفريقيا، وهي كذلك علاقة اتصال وتعامل في بعضها الآخر، فلم يدخل العرب إفريقيا غازين، وإنما تفاعلوا وامتزجوا وأسسوا دولاً مشتركة، ومنذ أن دخلت العربية مناطق إفريقيا الغربية، أصبحت لغة ثقافة وإدارة وتجارة ومراسلات ووسيلة للاتصالات الرسمية؛

[332] -https://www.nabdalarab.com/

استفاد معظم لغات القارة الإفريقية كثيراً من الاندماج باللغة العربية المتمثل في كون الحرف العربي يمثل جانباً تراثياً إفريقياً، وما يزال متداولاً لدى كثير من المثقفين الأفارقة، ويتم التعامل به وكتابة المراسلات والمخطوطات الدينية والدواوين الشعرية، كما أن الحرف العربي أثبت جدارته وانسجامه مع اللغات المحلية، إذ كُتبت به أكثر مخطوطات العلماء والدواوين الشعرية منذ مئات السنين، لذا ما زال أغلب الشعوب الإفريقية متمسكة بالحرف العربي على الرغم من القرارات الواردة عن كتابة اللغات الإفريقية بالحروف اللاتينية، وتؤكد المادة (29) من ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية أهمية الحرف العربي، حيث تنصّ على أن: «الحرف العربي تراث إفريقي، ينبغي أن يقدّم على أي حرف آخر لكتابة اللغات الإفريقية"؛[333]

وفي هذا السياق يشير سينغور رئيس جمهورية السنغال الأسبق – برغم مواقفه الداعمة للغة الفرنسية – قائلاً في محاضرة أمام الرئيس جمال عبد الناصر بمعهد الأزهر الشريف: «إن أهم عامل موحّد بين العرب والأفارقة هو اللغة العربية والدين الإسلامي»، وأجاب في زيارة للجمهورية التونسية عام 1970م – لمّا سُئل عن مستقبل العربية في السنغال: «إن اللغة العربية لغة فرضت نفسها في إفريقيا السوداء"،

لقد أثرت اللغة العربية في اللغات الإفريقية المذكورة سابقاً بشكل واضح، وإن اختلف هذا الأثر من لغة إلى أخرى حجماً وعمقاً، وذلك بقدر تعلّق أهل تلك اللغات باللغة العربية تعلّماً وتحصيلاً، ودرجة تمسك أهلها بالتعاليم الإسلامية سلوكاً وعبادة؛

أشار بعض علماء اللغة إلى أن تلك العلاقة قد ترجع إلى علاقة الاشتراك في أصل واحد، كما في الأسر اللغوية المذكورة سابقاً، أو علاقة الاتصال المباشر بين اللغتين، حيث يعيش المتحدثون بهما في مكان واحد، كما هو الحال في عدد من الدول الإفريقية، حيث تعيش القبائل العربية والقبائل الإفريقية جنباً إلى جنب؛

أما العلاقة غير المباشرة بين اللغتين، فتتمثّل في الكلمة المكتوبة، دون أن يعيش متحدثو هذه اللغات في مكان واحد تحت ظروف تسمح بالتأثر اللغوي المكثف؛[334]

خاتمة وأهم النتائج:

تحتوي خاتمة هذا البحث على نقطتين هما: نتائج الدراسة والتوصيات:

أولا: نتائج الدراسة:

في نهاية هذه الدراسة التي جرت حول موضوع: **تعدد اللغات والوئام الاجتماعي الحدودي بين دول بحيرة تشاد،** توصلت إلى النتائج أهما:

---

[333]- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2009، التعليم العربي والثقافة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء [الواقع والآفاق]، ط:1: 30؛

[334]- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، التعليم العربي والثقافة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، المصدر السابق:34؛

1- إن بحيرة تشاد منطقة تضم تشاد، والكاميرون، ونيجيريا، والنيجر، وأن تلك الدول تجاور هذه البحيرة، ويتمتع كل منها بأحقية في ثرواتها؛
2- إن منطقة بحيرة تشاد تتمتع بتعدد القبائل واختلاف اللغات، فأدى ذلك إلى وجود الثروة اللغوية فريدة؛
3- إن اللغات واللهجات في منطقة بحيرة تشاد تتداخل ويؤثر بعضها على بعض، وأكثها تأثيرا على الأخرى هي اللغة العربية، لارتباطها بالعامل الديني، والاجتماعي، لأن العلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة تكاملية مترابطة ومتلاصقة لا يمكن أن يحدث أي انفصال بينهما، فهي علاقة تأثير وتأثر؛
4- تشكل المنطقة محور النزاعات والصراعات حول إدارة المياه تارة، والمشاكل بين المزارعين والرعاة تارة أخرى، وأحيانا تكون المناوشات القبلية، وقد تكون الصراع من قبل الجماعات المتطرفة وهو الأشهر في الآونة الأخيرة؛
5- أن اللغة العربية هي اللغة الأكثر تعاملا في تسوية النزاعات وإصلاح ذات البين عند اجتماع رؤساء القبائل على هذا الشأن؛
6- أن تعدد اللغات لم يكن عائقا في إحداث الوئام الاجتماعي الحدودي بين دول بحيرة تشاد.

ثانيا: التوصيات؛

بعد إجراء هذه الدراسة والتمعن في شجونه، والوقوف على بعض حقائق منطقة بحيرة تشاد، نوصي بما يلي:

1- إجراء دراسات لكشف المغمور من القبائل الموجودة في منطقة بحيرة تشاد؛
2- وضع وتحديد أسس تثبيت السلم ونزع الصراع بين الأمم عبر اللغات خلال دراسات وأبحاث؛
3- إنشاء مجلة خاصة ببحيرة تشاد تعالج قضايا المنطقة بشتى مجالاتها.

المصادر والمراجع:

أولا: المراجع العربية:

- ✓ إبراهيم صالح يونس، (د.ت)، الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية ميدقري-نيجيريا(د.ط).
- ✓ إبراهيم محمد جبريل، التحديات الاجتماعية في الكاميرون، حالة أقصى الشمال أنموذجا؛
- ✓ أليس كوراني، 2013، اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1؛
- ✓ بابكر حسن قدرمارى، 2004م، اللغات التواصلية في غرب إفريقيا، الهوسا وفُلْفُلْدِي نموذجا، الخرطوم، مركز للبحوث والدراسات الإفريقية؛

- ✓ عبد السلام بغدادي، 2005م، الجماعات العربية في إفريقيا: دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،)؛
- ✓ عبد الله حمدنا الله، 2006، تبادل تأثير الثقافي الإسلامي بين علماء السودان وعلماء حوض بحيرة تشاد، المؤتمر الدولي-الإسلام في إفريقيا – العدد 5؛
- ✓ عبو عزالدين،2022م، النزاعات البيئية (النزاع الكاميروني النيجيري في حوض بحيرة تشاد نموذجا)، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية (د.د)، الجزائر، (د.ط)، مجلد 15، العدد 03؛
- ✓ محمد صالح أيوب، (د.ت) جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، المركز العالمي للدراسات وأبحاث كتاب الأخضر، طرابلس، **ليبيا**، ط1؛

ثانيا: الدوريات:

- ✓ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2009، التعليم العربي والثقافة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء [الواقع والآفاق]، ط:1؛
- ✓ مجلة المعرفة 2007م،الصراعات العرقية في أفريقيا؛
- ✓ محيي الدين عبد الحليم، 2019م.، أصل العربية وأزمتها المعاصرة والتربية، العدد 24؛
- ✓ مؤمن إبراهيم، 2018، المدرسة العربية التقليدية ودورها في نشر الإسلام في الكاميرون، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، (د.م)؛

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

- ✓ https://www.ejaba.com/question
- ✓ https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=857227
- ✓ https://www.mosoah.com/career-and-education/education
- ✓ https://democraticac.de/?p=47670
- ✓ https://www.nabdalarab.com/
- ✓ https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=857227